مصارع الخلفاء

مشاهد رائعة نقلها عن التاريخ

بقلم كامل كيلانى

و يادهر لحال الله ٭ ماهنأت فرحانك
« ابو العلاء »

(١)

تمهيد

« ليس أروع للنفس من تمثل مصارع الناس والاستماع اليهم فى ساعاتهم الاخيرة وتعرف ماقالوه — وقت حلول الأجل — وآخر ماتفوهوا به من الكلم قبل أن يفارقوا هذا العالم — خيره وشره — فراقا أبديا لاعودة لهم اليه بعده .

واذا كان ذلك هو شعورنا نحو الموت ، فلا جرم أنه يزداد ويتعاظم الى اقصى حد ، حين يقترن بعظمة الملك وأبهة السيطرة والسلطان ، فليس أشجى للنفس من تمثل مصرع خليفة أو قائد كبير أو شاعر عظيم أو أى واحد من اساطين هذا العالم الذين نقشوا فى تاريخ الانسانية صفحات لا يمحوها الزمن

ولعل خير ساعة يستعرض فيها المتأمل تاريخ حياة انسان هى ساعة احتضاره فانه ليرى — أمام كل صورة من صور الضعف — صورة أخرى من صور القوة . و يلمح بجانب تلك الصور المشجية الحزينة ، ما يقابلها من صور حياتهم البسامة المشرقة .

كامل كيلانى

---

(١) من كتاب للمؤلف تحت الطبع وقد عنيت بنشره مكتبة الوفد لصاحبها محمد محمود بشارع الفلكى بجوار باب اللوق بالقاهرة

مصرع المعتز (١)

« ثم ادخلوه سرادبا وجصصوه عليه فمات »

« المؤرخون »

سبب مصرعه

قالوا — :

« ان الاتراك طلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده مال يعطيهم . فارسل الى امه يسألها مالا ، فقالت له — : ما عندى شيء »

قالوا — :

فاتفق الاتراك والمغاربة والفراعنة على خلع المعتز ، فصاروا الى بابه فقالوا — :

« اخرج الينا »

فقال — :

« قد شربت أمس دواء ، وقد أفرطت فى العمل ، فان كان لابد من الاجتماع فليدخل بعضكم الى »

كيف صرع

فدخل اليه جماعة منهم فجروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه فى الشمس »

---

(١) هو ابن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد ، وكنيته ابو عبد الله وكان ابيض أسود الشعر ، وقد ولد بسر من رأى سنة ٢٣٢ هـ . ومكثت خلافته اربع سنين وسبعة اشهر الا سبعة ايام وكان عمره اربعا وعشرين سنة وثلاثة وعشرين يوما . وكان اسم أمه « قبيحة »

قالوا : وكان قد سماها المتوكل ذلك لحسنها وجمالها كما يسمى الاسود كافورا قالوا : وكان لها أموال عظيمة ببغداد ، وكان لها مطمور تحت الارض نحو الف الف دينار ووجد لها فى سفط قدر مكوك زمرد ، وفى سفط آخر مقدار مكوك لؤلؤ وفى سفط مقدار كبلجة ياقوت احمر لا يوجد مثله ونبش ذلك كله !

فكان كما يقول المؤرخون — يرفع رجلا ويطيح أخرى لشدة الحر .

وكان بعضهم يلطمه — وهو يتقى يده ، وأدخلوه حجرة واحضروا القاضى(١) وجماعة فأشهدوهم على خلعه.

ثم سلموا المعتز الى من يعذبه ، ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام

ثم أدخلوه سردابا وجصصوه عليه فمات ودفنوه بسامرا مع المنتصر .

مصرع مروان الجعدى (٢)

أو « حمار الجزيرة »

« ولو علم بنو مروان انهم انما يوقدون
على رضف يلقونه فى اجوافهم ما فعلوا »

« الوليد الثانى »

كيف صرع

« وطعنه رجل من أهل البصرة ، وهو لا يعرفه فصرعه ، فصاح ، صائح : « صرع أمير المؤمنين ! » وابتدروه . فسبق اليه رجل من أهل الكوفة — كان يبيع الرمان فاحتز رأسه ! »

« المؤرخون »

---

(١) وكان اسم القاضى « أبا الشوارب »

(٢) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ويلقب بحمار الجزيرة ، ويكنى أبا عبد الملك ، كانت ولايته ، من حين بويع الى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما ، وكان قتله يوم الاحد لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢ ، وكانت سنه يوم قتل اثنين وستين عاما — فى قول بعض المؤرخين ، وكانت موقعة « الزاب » المشهورة ، قضاء مبرما عليه وعلى جيشه ، فقد اندحر مروان فيها يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ١٣٢ . وقد اقترن مصرعه بمصرع الدولة الاموية فكان مصرعا مزدوجا ، وسنجمل فى مقال الشهر التالى أهم الاسباب التى تضافرت على انجاز هذين المصرعين ، مصرع الدولة الاموية ومصرع مروان الجعدى ! »

(١) طلائع الثورة

فراخ عامين ، إلا أنها كبرت لما يطرن ، وقد سربلن بالزغب
فان يطرن - ولم يحتل لهن بها - يلهبن نيران حرب ، أيما لهب

« نصر بن سيار »

ولكن الفراخ كبرت وطارت ولم يحتل لها ، فصحت نبوءة « نصر بن سيار » وألهبت نيران حرب شعواء ، ذكا أوارها واندلع لهيبها ، فكان وقودها مروان الجعدى والدولة الأموية معاً ، ولم تخمد جذوة هذه النار المستعرة ، إلا بعد أن أتت على الاخضر واليابس ، وغيرت وجه التاريخ ، وأحدثت انقلابا هائلا فى كل مرافق الأمة العربية وشئونها تقريبا !

لقد رأى « نصر بن سيار » خطر المنافسين يتعاظم يوما بعد يوم ، وشاهد اتباعهم فى ازدياد ، ودعوتهم فى ذيوع وانتشار ، فلم يدخر وسعا فى تحذير الأمويين من أعدائهم واحتثاث همهم ليقضوا على الثورة وهى فى مهدها ، وكان يرى نجاح دعوة أبى مسلم الخراسانى واتساع نطاقها ، فيبعث التحذير بعد التحذير ، والانذار تلو الانذار حتى بح صوته وذهبت صيحاته كلها أدراج الرياح !

ولعل أحداً لا يجهل أبياته الصادقة التى ختم بها إحدى كتبه التى بعث بها الى مروان الجعدى ، حين رأى انتشار الدعوة الى بنى العباس وذيوعها فى خـــراسان سنة ١٢٩ ، وهى قوله :

أرى خلل الرماد وميض جمر فأحجر بأن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب ، مبدؤها الكلام
فقلت - من التعجب « ليت شعرى ! أأيقاظ أمية ، أم نيام ! »

ولكن بنى أمية كانوا نياما عن عدائهم ، منهمكين فى أشباع شهواتهم الحقيرة مشتغلين بالانتقام بعضهم من بعض ، لاهم لهم إلا التباغض وإثارة الفتن الداخلية بينهم حتى جاءهم أمر الله فامحى ملكهم من المشرق ، وقضى عليهم قضاء مبرما فى سنة ١٣٢ هـ وصدق قول القائل : ولكل أهل بيت مشائيم ، يغير الله النعمة بهم و « لن ينتقل سلطان قوم قط إلا فى تشتيت كلمتهم ! » وصح فيهم قول من قال :

أوتيت ملكا ، فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

(٢) موقعة الزاب سنة ١٣٢ هـ

« كل شيء قاتل حين تلقى أجلك ! »

ليس أدل من هذه الموقعة على الفوضى الضاربة أطنابها فى جيش الامويين والتخاذل الشامل ، وسوء الرأى ، فقد تجلت فى هذه الموقعة صفات النذالة والاحجام فى أكثر الجيش الاموى واضحة جلية ، كما تجلى فيها ارتباك مروان وخوره ، وتوانيه فى رسم خطة يسير عليها جيشه قبل أن يلتحم فى المعركة ، وكان لاحجام قواده ومخالفتهم أوامره أسوأ النتائج وابعد الاثر فى هزيمتهم الشاملة . أما « الوليد بن معاوية بن مروان » صهر « الجعدى » فقد أذكرتنا حماقته وتهوره ، بصهر عثمان رضى الله عنه وما أبداه من خرق فى مخالفة رأيه !

لقد أمر « الجعدى » جيشه ألا يبدأ بالقتال ، وقر رأيه على ذلك

ولكن صهره الاحمق « الوليد بن معاوية » بدأ القتال فحمل على الميمنة فاشتبكت الحرب — على رغم الجعدى ، واستعرت لظاها فجأه أيما استعار ، ونفذ قضاء الله

وهنا يسرع « مروان الجعدى » — بعد أن نفذ السهم ، فيقول لقضاعة : « احملوا » فيقولون له : « قل لبنى عامر فليحملوا ! »

فيرسل الى « السكون » أن احملوا ، فيقولون : « قل لغطفان فليحملوا ! »

فيقول لصاحب الشرطة : « انزل ! » فيجيبه : والله ما كنت لاجعل نفسى غرضا ! »

فيقول له الخليفة متوعداً : « أما والله لأسوءنك »

فيجيبه صاحب الشرطة هازئا : — « وددت والله أنك قدرت على ذلك »

وثم زاد ارتباك مروان ، وتعاظم خباله ، أمام جيش الخراسانيين ، فكان — كما يقول المؤرخون — لايدبر شيئا الا كان فيه الخلل والفساد »

أراد أن يشجع رجال جيشه — وهم يقتتلون — فأمر بأموال فأخرجت ، وقال للناس : « اصطبروا وقاتلوا فهذه الاموال لكم »

فانعكست الآية ، وتهافتت فئة منهم على ذلك المال فجعلت تصيب منه »

فلما قالوا له : « إن الناس قد مالوا عن هذا المال ، ولا تأمنهم أن يذهبوا به » أراد أن يتدارك هذا الخطأ ، فوقع فيما هو شر منه ، فقد أرسل إلى ابنه « عبدالله » أن

يسير فى صحابته إلى مؤخر عسكره فيقتل من أخذ من ذلك المال و يمنعهم !»

فماذا كانت النتيجة

رأى الناس « عبدالله» و قدمال برايته وأصحابه، فحسبوهم مولين؛فصاحوا«الهزيمة» فكانت الهزيمة الشاملة!

وبمثل هذه التصرفات العجيبة المربكة الخاطئة ، اندحر الجيش الاموى وانهزم مروان فى موقعة «الزاب » شر هزيمة

قالوا : « وقطع الجسر ، فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل

(٣) فرار الخليفة

« كذبتم أمير المؤمنين لايفر »

قالوا : « وانهزم مروان حتى وصل مدينة الموصل ، فناداهم أهل الشام : هذا مروان ! » فقالوا : كذبتم أمير المؤمنين لايفر

طريق الفرار

ولكن أمير المؤمنين قد فر وأمعن فى فراره ، فما كاد يستقر بموضع حتى تداهمه طلائع العدو ، فيغادره هاربا إلى موضع آخر

فر إلى « حران »فأقام بها نيفا وعشرين يوما ،ومضى منهزما حتى مر بقنسرين و«عبدالله بن على » متبع له ، ثم هرب «مروان »إلى «حمص»فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم شخص منها وهو مرعوب منهزم، ومضى حتى مر بدمشق و تركها حتى قدم « فلسطين »وتابع فراره حتى وصل إلى مصر

(٤) مطاردته فى مصر

وجاء كتاب «أبى العباس »يأمر بتوجيه «صالح بن على» فى طلب « مروان » فصار صالح بن على فى ذى القعدة حتي نزل بالرملة، وسار « صالح» بجيشه حتى نزل ساحل البحر وتجهز يريد « مروان» الهارب « بالغرماء » حتى نزل صالح « بالعريش » فلما علم «مروان» بذلك أحرق ما كان حوله من علف و طعام وهرب، قالوا :

ومضى صالح بن على فنزل النيل ،ثم سار حتى نزل الصعيد وبلغه أن خيلا لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف فوجه اليهم قوادا ،فأخذوا رجالا فقدموا بهم على «صالح»

وهو بالفسطاط فعبر «مروان» النيل وقطع الجسر وحرق ماحوله ، ومضى «صالح» يتبعه ، فالتقى — هو وخيل «لمروان» على النيل فاقتتلوا ، فهزمهم صالح

وهكذا ظل يطارده «صالح» حتى اهتدى إلى مكانه الذى لجأ اليه فى كنيسة بوصير

خاتمة مروان — كيف صرع

قالوا : فوافوهم فى آخر الليل ، فهرب الجند ، وخرج اليهم «مروان» فى نفر يسير فأحاطوا به

قالوا : وطعنه رجل — من أهل البصرة ، وهو لا يعرفه فصرعه

فصاح صائح : صرع أمير المؤمنين

وابتدروه فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه !

*
* *

وهنا يروى لنا بعض المؤرخين ، رواية أقرب إلى القصص والخيال وان كانت غير مستحيلة الوقوع فيقول

إنهم لما أحضروا رأسه قدام صالح بن على أمر أن ينفض فانقطع لسانه فأخذه هر وأرسله صالح إلى السفاح وقال

قد فتح الله مصر عنوة بكم ٭ وأهلك الفاجر الجعدى إذ ظلما

وذاك مقوله هر يجرره ٭ وكان ربك من ذى الكفر منتقما

قالوا ولما وصل الرأس إلى (السفاح) وهو بالكوفة سجد شكرا لله !

مؤلفات أبي شادي
تمتاز بروحها العصرية
وبما فيها من فصول تحليلية مفيدة
تطلب من المكاتب المشهورة
في الأقطار العربية

الاغراء (١)

أو ، أم رتيبة ،

ليس حسنها بالرائع ، ولا قوامها بالقوام النادر الفذ ، ولكنها مع ذلك جميلة جذابة ، يتناسق شكلها الاجمالى فى مجموعه فيغطى على ماقد يلمحه المتفرس المنتبه من هنات طفيفة فى بعض الاجزاء

عيناها و فوهاو أنفها ، هى سر كل سحر ، ومصدر كل فتنة ، وهى كافية باشتغال الناظر عن كل ماعداها ، ولصوتها رنة موسيقية تفعم قلب السامع بالسرور وتملأه طربا ونشوة ، ولها ذوق نادر فى اختيار الأزياء ، واهتداء موفق فى انتقاء هندامها قصيرة القامة ، رفيعة الجسم ، جذابة الحديث ، ولكنها غريرة طيبة القلب فارغة العقل قابلة للتأثر بما تسمعه يسهل استهواؤها ، ولا يتطلب التأثير عليها عناء كبيرا

زوجت من مزارع غنى وهى فى السادسة عشرة ومكثت معه نحو عامين ثم مات تاركا لها ثروة متوسطة ، يربو ايرادها السنوى على المائة جنيه

وعن لها أن تترك بلاد الريف لتقيم فى القاهرة ، ثم لم تتردد فى انفاذ هذه الفكرة فاستأجرت شقة أقامت فيها بضعة أشهر ، تعرفت فى خلالها بسيدة فاضلة تسكن المنزل المقابل لبيتها ، ولم يمض زمن طويل حتى توثقت أواصر المودة ، ووصل الحب بينهما الى أقصى حد ، وكان لتلك السيدة أخ وديع لين العريكة ؛ يكره اللجاج ويمقت المغامرة وكانت زوجه عاقرا مكث معها ستة عشر عاما فلم تلد له ، فتطامت نفسه الى الزواج من أخرى ، فلم تر أختها أليق من الست (أم رتيبة) صديقتها المخلصة ، ولا أصلح لأخيها

ظلت أخته ترغبه فيها وتصف له محاسنها ، مبالغة له فى سمو اخلاقها ، ووفرة أدبها ، ناعتة اياها بكل ما خيله لها اخلاصها وحبها

أقدم أخوها على الزواج منها ، فرأى من جمالها ما بهره وهيمن على قلبه ، وملك عليه لبه ، ورأت فى زوجها من كرم الاخلاق وجمال العشرة ما حببها فيه ، وقد

---

(١) من كتاب «قصص مصرية»

عنى بابنتها «رتيبة» التى خلفتها من زوجها الأول عناية الأب بابنته لا الزوج بابنة زوجه

أقبل السيد «حسن» على الست أم «رتيبة» بكل جوارحه كما أخلصت له ، ولم تدخر وسعاً فى سبيل السعادة والولاء له ، وقضى معها أسعد الاوقات وأهنأ الساعات ناسيا زوجه الأولى التى اشتغل قلبه عنها بزوجه الجديد .

صبرت زوجه الاولى على هجرانه مدة طويلة ، ثم اضناها السقم وبرحت بها الآلام فانهكت جسمها وانتهت بها الى الموت ، فقضت نحبها غير مأسوف عليها من زوجها وتركت بعدها جواً صافياً ، تطيف به السعادة ولا يكدر صفوه مكدر

عاش السيد «حسن» مع الست (أم رتيبة) عيشة راضية هنية وخلف منها عدة بنات ، وماتت أخته بعد مدة قصيرة فخلا الجو لها وأصبحت وحدها ربة البيت الآمرة الناهية المتصرفة بلا شريك واستمر الزوج وزوجه ينعمان بالاخلاص والحب فى عيشة راضية ، لا يدخل بينهما سوء ، ولا يرفرف عليهما إلا جناح السلام سبعة أعوام كاملة

وفى السنة الثامنة جدت لها مشكلة قضائية دعتها الى الاستعانة بالاستاذ «ناشد» المحامى ، الذى أقامته وكيلا عنها بطريق المصادفة ، على غير معرفة سابقة

* * *

أظهر الاستاذ «ناشد» اهتماما بقضيتها ؛ ولم تكد تمر أيام قلائل حتى أكثرت من ترددها على مكتبه ، واكثر من طلبها للحضور عنده

يسألها الزوج : « لم طلبك المحامى ؟

فتقول له :

ـــقال لى إن الخصم قد انتقل الى مكان مجهول ،

فاذا سألها فى اليوم التالى ، قالت له : «انه أخبرها أنه لا يزال مهتما بالبحث عنه »

فاذا سألها فى المرة الثالثة ، اجابته : «انه اخبرها انه سيهتدى الى العثور عليه بعد زمن قصير

وهكذا من المعاذير التى لا تقنع أحدا ، والتى تخلق الريبة فى نفس سامعها ، وتدعوه الى الشك فى صحتها لاول وهلة

لقد أحبها المحامى وأحبته ، وزين لها طريق الفساد واستعمل لباقته فى التأثير على تلك الغريرة البلهاء ، فما هي الا نظرة وابتسامة حتى استهواها اليه

انخدعت الفتاة به ، وركنت اليه ، وأصاخت الى كلمات حبه الكاذبة ، فاستسلمت له منقادة غير مترددة فى مطاوعة أمره

وأراد الاستاذ « ناشد » أن يتقن تمثيل الدور فربط أواصر الصداقة بينه وبين زوجها المسكين ، وتظاهر له بالمودة والاخلاص. فلم يرتب الزوج فى حسن نواياه ، وطهارة نفسه ، وشرف مقصده

بدأ بزيارة الزوج فى منزله وتناول عنده طعام العشاء ، ثم زاره الزوج مع زوجه فى بيته

وبعد اسبوع زارتهم أم المحامى وأخته فى بيتهم ، وأرت الزوج زوجها أن من الحتم عليها أن ترد لهم الزيارة ، فلم يخالف لها أمراً . ولا رأى بأساً فى زيارتها اياهم

وهكذا افتنت « أم رتيبة » فى خلق الاعذار والتماس الحيل لخروجها من منزلها لزيارة المحامى ، يوماً بعد يوم تتظاهر اليوم بأنها ذاهبة لزيارة احدى صديقاتها . وفى اليوم التالي بأنها ذاهبة لاحدى قريباتها وفى اليوم الثالث لقضاء امر هام ، وفى الرابع بأنها تود شراء ملبس جديد ، وهى فى كل يوم لا تؤم الا مكتب عشيقها الاستاذ الذى ملك عليها لبها وسمعها وبصرها ، وأنساها واجبات الزوجية المقدسة ، واذهلها عن كل اعتبار آخر ، الا الرضوخ لاوامر عشيقها المخادع ، الذى كان يتظاهر أمامها بأنه يحبها الى حد الجنون . وانه يقدسها . ولا يرى فى الوجود ما يضارعها فى الجمال والحسن وكان يتقن تمثيل هذا الدور أمامها فتنخدع به مصدقة لان أذنيها لم تتعودا من قبل سماع مثل هذا الثناء ولانها كانت ـ لسلامة قلبها ـ تظن ان كل ما يقال صدق . وان مثل هذا المحامى الشاب لا ينطق كذبا ، ولا يقرر إلا حقا

* * *

مرضت ابنة السيد « حسن » فزين لهم الاستاذ (ناشد) السفر الى دمياط عند أخيه. وظل يضرب لهم على هذه النغمة كل يوم وأخذت الزوج تلحف على زوجها ضارعة اليه أن يجيب طلبها ملحفة عليه أشد الالحاف حتى اذ عن آخر الامر بتنفيذ رغبتها ـ رغم ارادته سافر الزوج مع زوجه وبناته الى دمياط واستأجروا كوخا مشرفا على البحر

قريب من اخى المحامى . ولكن لشد ما ادهش الزوج انه رأى الاستاذ ناشد فى التالى قاطنا كوخا على مسافة قريبة منه

فتساءل امام زوجه عن سبب حضور الاستاذ . فأجابته « لعل امراً هاما استدعاه . على انه ماذا يهمنا حضوره ؟ »

و بعد قليل اقترحت على الزوج ان يأدب للاستاذ مأدبة بمناسبة حضوره . ففذا اقتراحها

وفى اليوم التالى ادب لهم الاستاذ مأدبة لم يتردد فى حضورها واستمروا على ذلك عدة ايام يتزاورون و يأكلون و يمرحون كانهم اسرة واحدة . وقد تحبب المحامى الى الزوج . و تصنع له الولاء والاخلاص الكاذب وكثيراً ما دارت الكؤوس والاقداح وثمل الزوج و المحامى

* * *

الزوج غريرة ، والزوج طيب القلب ، والمحامى لبق ظريف ولكن لكل شىء حد ، وللرياء ثوب شفاف مهلهل ، فقد كانت تبدر من المحامي حركات طائشة فى بعض الاحايين ، وكانت تلوح منه غمزات واشارات ذات مغزى خاص ، يأتيها بلا احتراس ، فلم يلبث الزوج أن داخلته الريبة فى أمر زوجه و صديقه

يثمل المحامى فيداعب «رتيبة» مداعبة تثير الشكوك ، يقبلها و يدخل بها فى الحجرة الثانية ، ويخلو بها وقتاً ما ، ثم يضمها الى صدره متظاهرا بانها كابنته على مرأى و مسمع من الزوج و زوجه ، وكانت رتيبة قد بلغت الرابعة عشرة ، ولكن الاستاذ أبى إلا ان يعدها طفلة صغيرة . تقبل وتعانق و تضم الى الصدر بلاحرج ولا مبالاة

فاذا امتعض الزوج الساذج من هذا العمل هونت عليه زوجه الامر ونفت له سوء نية الاستاذ . مؤكدة له أنه طاهر الذيل نقى الذمة . بعيد عن الدنس . فيسكت الزوج المسكين على مضض

* * *

وفى ذات يوم قامت (أم رتيبة) مبكرة من نومها قبل أن يستيقظ زوجها فأوصت الخادم أن تخبر سيدها — اذا استيقظ — انها ذاهبة الى السوق لشراء دجاجات

وأطلعتها على حقيقة أمرها هامسة فى أذنها انها ذاهبة الى حيث يقيم المحامى .

وسألتها ان لاتأتيها حتى تنتهى من غسل الملابس وانهاء اعمال المنزل الكثيرة التى يستغرق عملها وقتاً طويلا من النهار مؤكدة عليها ان تكتم عن زوجها خبر ذهابها الى المحامى

خرجت الزوج مبكرة الى المحامى وقضت معه ساعة ناعمة مغتبطة. ولما قام الزوج نادى زوجه فلم تجبه . فسأل الخادم عن مكانها . فلم تكذبه القول . ولا كتمت عنه حرفا واحداً مما قالته لهاسيدتها

ارسل الخادم لتجسس له . فما وصلت المنزل حتى علمت أن سيدتها جالسة مع عشيقها فى مخدع نومه . فنقرت على الباب . فسألتها الزوج :

ـــ هل انهيت عملك

ـــ نعم

ـــ كف انهيته بهذه السرعة

ـــ لا أعلم !

ـــ هل صحا سيدك

ـــ لا

المحامى ـــ حذار ان تخبريه انها عندى

ـــ لن اخبره بذلك

المحامى ـــ هىء ! هىء ! يلعن ابوك !

* * *

جاء الزوج فرأى زوجه واقفة فى النافذة تصلح ما أفسده المزاح والعبث من شعرها ،فاهتاج ولكنه سكن من نفسه الثائرة قليلا

سألها غاضبا أن تعود الى منزلها فاستعطفته أن يمكث معها فى منزل المحامى ريثما يشرب القهوة فأبى البقاء وحتم عليها مغادرة ذلك المكان ، فاطاعته ، و عادت معه الى الكوخ

حاول الزوج أن يقنعها بالسفر معه الى القاهرة فأبت ، فأظهر لها غضبه وسخط من مزاح الاستاذ مع ابنتها (رتيبة) فأجابته منفعلة :

(ذلك أمر يعنينى ولا يعنيك ، فأنا أمها المتصرفة فى أمورها وليس لك فيه شأن)

وقامت بينهما لجاجة وخصام ، وثار ثائر الزوج الحليم ، فكسر الاطباق وحطم الاوانى وأصبح فى حال من الغضب انسته كل شىء

ـ لا بد من السفر معى فى الحال

ـ كلا لن اسافر معك

ـ هل تجرئين على ذلك

ـ ولم لا

ـ إذن اتركك

ـ فى الف داهية

* * *

أخذ معه بناته الصغيرات مصمما على السفر الى القاهرة ، ولم يكد يصل الى المحطة . سائلا عن موعد سفر القطار الى القاهرة حتى علم أنه يقوم بعد ساعتين ونصف ساعة

لبث مدة مع بناته الصغيرات يداعبهن بقلب مكلوم حزين حتى اذا لم يبق على موعد سفر القطار الا ساعة واحدة خرج ليأتيهن بطعام فقابله عربى شهم من أصدقائه القدماء . فعلم منه القصة بحذافيرها . فرثى لحاله . وأقسم عليه ليأخذنها معه رغم انف عشيقها وما زال به حتى اضطره الى العودة اليها مع بناته وذهبوا جميعا الى الكوخ . ولما رأت الزوج تصميم العربى على مساعدة زوجها التفتت اليه مغضبة :

ـ ماذا تريد ياشيخ احمد

ـ اريد أن تسافرى مع زوجك

ـ وماذا يهمك من أمرى

ـ يهمنى أنه صديقى الوفى .

ـ هون عليك . فقد اتهمك من قبل بأنك كنت تغازلنى .

لم يكد العربى الشهم يسمع من فيها هذه التهمة الكاذبة حتى استعاذ بالله من سوء ظن الزوج . وفترت همته فى مساعدته

وفى اليوم التالى بحثا عنها فى دمياط فلم يجداها . لقد هربت الى اين ، لايعرفان سألا عنها المحامى فتظاهر بأنه لايعلم مقرها ، كأنه لم يدبر لها خطة الهرب .

واصل الزوج البحث حتى علم انها ذهبت الى اهلها فى الريف فاسرع بالسفر اليها . فوجدها عند عمها . فسأله الاخير عن سبب سفرها . فلم يستطع الافضاء اليه بالحقيقة كاملة . ولكنه لمح له بطرف منها واخبره انها كثيرا ماتسمح لابنتها رتيبة بالمزاح مع المحامى

فوبخها عمها على ذلك وارغمها على السفر معه

و بعد لأى ماسافرت معه الى القاهرة

***

عاد الزوج وزوجه الى القاهرة فوجد المحامى قد سبقهما الى العودة ومضى الاسبوع الاول بسلام

واحتاج الزوج يوماً الى من يقرأ له عقداً مكتوبا بالفرنسية و يترجم فحواه ، فعثر فى طريقه بكاتب عاطل كان يعمل فى مكتب الاستاذ ناشد ثم طرد منه منذ أيام قلائل ، فطلب اليه الزوج أن يترجم له العقد فسأله : —

— « ولم لم تذهب الى الاستاذ ناشد ليترجمه لك ؟ »

— « لقد قاطعته نهائيا فقد كاد يخرب بيتى ويفسد على امرأتى »

— « لقد طالما ترددت فى اخبارك بتهتك هذا الاستاذ الخليع ، ولكننى خشيت أن لاتصدقنى »

— « ليتك فعلت »

— « ولكن ألم تلاحظ على زوجك شيئا حين كانت تعود متأخرة من مكتب المحامى ؟ »

— لم ألاحظ شيئا سوى أنها كانت تغيب أحيانا الى ساعة متأخرة من الليل

— ألم تلاحظ عليها أنها كانت تعود ثملة ! . .

— ثم . . . . لة . ثم . . . . لة . رباه . أحق ذلك ؟ أتجد ؟ أكانت تسكر معه ؟ لا أعلم ، لا أعلم ، لا . . لا . . . لعلى أخطأت القول ، آه . لقد قادتنى السرعة وعدم الاحتراس الى قول ما لا ينبغى قوله

* * *

عاد الزوج ثائر النفس الى بيته ، ولم ينبس ببنت شفة ، وانتهز الكاتب

المطرود هذه الفرصة . فذهب الى مكتب استاذه متملقا . وانبأه أنه قابل الزوج . وانه سبه وطعن عليه متهما اياه بمحاولته افساد زوجه . ولكنه دافع عنه امامه دفاعا مجيدا .

غضب الاستاذ المحامى من وقاحة الزوج وقلة ادبه . كيف يجرؤ على مس شرفه كيف يتهمه بافساد زوجه . الي الانتقام اذن الى الانتقام اذن من ذلك الزوج الوقح

نعم فان من ينتهك حرمة الزواج المقدسة . ويتخذ من الواجب وسيلة للافساد والاغواء ومن الصداقة سبيلا الى تدنيس اقدس رابطة انسانية . جدير ان يغضب إذا بلغه ان مثل ذلك الزوج الحليم قد دفعه الألم الى التفوه بكلمة تشعر بارتيابه من ذلك القانونى البارع !

وكم فى الحياة من غرائب ومدهشات !

* * *

غضب الاستاذ وبعث رسولا الى « رتيبة » يحثها الى الذهاب اليه فى الحال ، فلبي الرسول الأمر . وابلغها اياه — وكانت جالسة مع زوجها — فغضب الزوج من هذا الطلب الخبيث المشوب بلهجة الآمر المتصرف ، وأمر الزوج ان لاتخرج فأبت فكرر عليها الامر ، فلم تذعن ، فمكث فى المنزل ليمنعها من الخروج فتظاهرت بعد قليل بالعدول عنه حتى اذا اطمأن الزوج الى بقائها فى المنزل ، ذهب الى عمله ، ولم يكد يخرج حتى أسرعت الى مكتب المحامى الذى نفث فيها سحره . وزين لها طريق الغى . واختط لها سبيل الفرار من ذلك الزوج

عادت الى منزلها متشبعة بنصح المحامى . وقضت مع زوجها ليلة صاخبة . ثم قامت صائحة فى منتصف الليل منادية الخفير لينقذها من زوجها الذى يريد قتلها بخنجره . صعد الناس فوجدوا الزوج يستيقظ من نومه مذعوراً ووجدوا الخنجر فى يدها فوبخوها بلطف على ذلك التجنى الجرىء وفى الصباح هربت مع ابنتها الي حيث لا يعلم الزوج

* * *

واصل الزوج البحث عنها شهرا فلم يهتد الي مكانها . توسل الى المحامى أن يرشده الى طريقها . فسبه المحامى ولعنه وطرده طردا ، عاد الزوج الى منزله مكتئبا حزيناً ولكنه لم ييأس . بل واصل البحث متنسما الاخبار . يسمع انها فى شبرا . فيذهب منقباً

باحثاً بلا جدوى . ثم يسمع انها فى العباسية . وأخرى انها فى حى القلعة وثالثة انها فى حى مصر القديمة . ورابعة انها فى الظاهر . وهكذا ظل يدأب نحو ثلاثة اشهر من غير أن يصل الى نتيجة مجدية !

وفى ذات يوم قابله خباز منزله — وكان عارفاً بالقصة متأثراً بوقائعها — وبينما هما سائران اذ لمح الزوج المحامى سائرا فى الطريق . فلفت اليه الخباز . وسأله أن يتتبع سيره متخفياً . ففعل حتى اذا وصل الى محطة حلوان التفت الاستاذ يمنة ويسرة فلم يجد احدا يتعقبه فقطع تذكرة فى الدرجة الاولى وقطع الزوج والخباز تذكرتين فى الدرجة الثالثة . فلما وصل المحامى الى حلوان نزل ونزل الخباز والزوج يتعقبانه

وخشى الزوج أن تحين من المحامى التفاتة اليه فيفسد عليهما التدبير ، وثم جلس فى حانوت جزار يعرفه ويخلد اليه بالثقة

أما الفران فسار متتبعاً المحامي مدة طويلة حتى اذا قرب المحامى من منزله ، التفت يمنة ويسرة فلم يجد سوى الخباز ، فداخلته الريبة فى أمره

ولكن الخباز لم يدع الريبة تثبت فى نفسه ، فأسرع ينادى — :

« ياأولاد الحلال ، بنت اسمها عزيزة ، وولد اسمه على . . . الخ »

* * *

اطمأن المحامى ودخل المنزل فعرفه الفران ، وأسرع عائدا الى الزوج والجزار وأخبرهم بمكان المحامي والزوج الخائنة فأطبقوا جميعاً عليهم واستاقوهم الى القسم ، حيث لقى الاستاذ والزوج جزاءهما العادل .

« ك . ك »

اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

تاريخ الفكر العربى

فى نشوئه وتطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

« م ٩ — ٢٥ »